عبس

رؤوف بوقفة

عبس

رؤوف بوقفة

صدر للمؤلف في الفكر الإسلامي:

1. أعربة الفكر الإسلامي / دار بهاء الدين. الجزائر
2. الانسان المتكامل /دار قرطبة. الجزائر
3. الإسلام السياسي: الحاضر والتاريخ / دار زنبقة للنشر الالكتروني مجاني
4. في التأسيس لوعي حضاري /دار المحرر الادبي. مصر + الكتروني مجاني
5. قبسات من التفسير الحضاري للقران / دار زنبقة للنشر الالكتروني مجاني
6. قوانين إدارة الشر / كتاب الكتروني مجاني
7. القرين / كتاب الكتروني مجاني
8. الكوثر / كتاب الكتروني مجاني
9. النفريت في الصلاة على الحبيب / كتاب الكتروني مجاني
10. زهرة الحياتين في الصلاة على سيد الثقلين /كتاب الكتروني مجاني
11. بلسم القلوب في الصلاة على الحبيب المحبوب / كتاب الكتروني مجاني
12. الزيزفون في الصلاة على سيد السادات / كتاب الكتروني مجاني
13. الخريدة في الصلاة على سيد السادات / كتاب الكتروني مجاني
14. النجم / كتاب الكتروني مجاني
15. مفتاح الدارين / دار زنبقة للنشر الالكتروني مجاني
16. عملية الفيل / كتاب الكتروني مجاني
17. منظومة البصر الحديدي / كتاب الكتروني مجاني
18. منظومة القيم الاجتماعية بين الرسالية والمادية/ كتاب الكتروني مجاني
19. همسات قرآنية / نشر الكتروني مجاني
20. الدولة الإسلامية / كتاب الكتروني مجاني
21. مقدمة في التسويق مع ابليس / نشر الكتروني مجاني
22. عبس / نشر الكتروني مجاني
23. عجل له خوار/ نشر الكتروني مجاني

الفهرس:

- **مقدمة**
- **مع القران الكريم**
- **مع تفاسير اهل السنة والجماعة**
- **مع تفاسير الشيعة**
- **التحليل النفسي للحادثة**
- **أخلاق الرسول صلى الله عليه واله وسلم في القران الكريم**

بسم الله الرحمان الرحيم

في المرحلة المتوسطة من التعليم كان في مادة التربية الإسلامية مقرر علينا سورة عبس حفظا وسبب النزول وتفسير ميسر للسورة، السورة التي جاءت كعتاب من الله عز وجل للرسول صلى الله عليه واله وسلم لأنه عبس في وجه رجل أعمى و تولى عنه

كبرت ورزقني الله قرات أمهات التفاسير فأكدت لي هذا المعنى عندما وصلت لتفسير السورة

اليوم وأنا كهل وجدت أن القرآن الكريم كائن حي (بعيدا عن فلسفة المعتزلة في مسألة خلق القران الكريم) فهو كلام الله عز وجل المعجز في لفظه وتركيبه

للقران الكريم روح، نسق خاص به، معاني مختلفة ومستويات من الفهومات فالقران الكريم يخاطب كل واحد فينا بشخصه وقدراته الذهنية والفكرية ومكتسباته المعرفية وبيئته الاجتماعية ونفسيته وفي نفس الوقت يخاطب الجميع وتصل رسائله لكل واحد منا بعيدا عن الاسقاطات النفسية والحيل المنطقية

تأثيرات متنوعة ومتعددة في نفس الوقت، تأثير سمعي حتى للأذن الأعجمية التي لا تعرف اللغة العربية وتأثير نفسي يشعر البعض بالراحة حتى ولو لم يفهم كلماته وهو يسمعه

إشارات تحفيزية في الفيزياء والرياضيات وعلم الفلك، في علم النفس وعلم الاجتماع وعلم العمران وعلم البحار وعلم الحيوان...

انه القران الكريم لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي معجزاته تتوالد المعاني وتختلف في تنوع الفهومات عند كل قراءة له

الكتاب الوحيد الذي لا تمل من قارئته وتكرار تلاوة سوره، الكتاب الذي انزل على خير البشرية وسيد ولد آدم فتلقاه ونقله لنا سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم فهل عبس سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم في وجه رجل أعمى مسلم جاءه ليتفقه في الدين؟؟؟

مع القران الكريم

سوف نعرض هنا الآيات التي جاء فيها لفظ عبس والآيات التي جاء فيها لفظ تولى باشتقاقاته

عبس

جاءت كلمة عبس في القران الكريم في موضعين وهما:

1. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ المدثر ← العابس هنا باتفاق الجميع والسياق القراني هو رجل كافر
2. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ١﴾ عبس ← العابس هنا حسب الرواية الحديثية هو الرسول صلى الله عليه واله وسلم

تولى

أما كلمة تولى فقد جاءت في الآيات الكريمة التالية:

1. ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ٢٠٥﴾ البقرة
2. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ٢٣﴾ آل عمران
3. ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٨٢﴾]آل عمران[
4. ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ٨٠﴾ النساء
5. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ النساء
6. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ٧٩﴾ الأعراف
7. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ٩٣﴾ الأعراف

8. ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ١٩٦﴾ الأعراف
9. ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ٨٤﴾ يوسف
10. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ طه
11. ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ طه
12. ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ النور
13. ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧﴾ النور
14. ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾ القصص
15. ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩﴾ الذاريات
16. ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ٢٩﴾ النجم
17. ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣﴾ النجم
18. ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ المعارج
19. ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢﴾ القيامة
20. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ١﴾ عبس
21. ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣﴾ الغاشية
22. ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦﴾ الليل
23. ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٣﴾ العلق

نوع المتولي	عدد الآيات
المتولي الكافر (المعرض عن الحق)	17
المتولي النبي عن الكافرين	02

المتولي الله عز وجل	01
المتولي خارج التصنيف (النبي موسى مع الظل)	01
المتولي النبي عن العاصي (النبي يعقوب مع أولاده)	01

من خلال حصر الآيات التي تتكلم عن التولي وضبطها بتقسيم نوع التولي نجد ان أصناف التولي كالتالي:

التولي عن الحق من طرف الكفار ولأن لكل فعل رد فعل مساوي له في القوة معاكس له في الاتجاه فالرسل والأنبياء يتولوا عن المكذبين بهم أيضا ولأن الجزاء من جنس العمل فالله يتولى الصالحين المصدقين بالأنبياء

التولي عن البشر العاصي كما فعل نبي الله يعقوب مع أبنائه سبب مأساته في ابنه يوسف

التولي الحيادي الذي لا يتولى الى الأشخاص حسب تقسيمهم وفق ثنائية الحق والباطل بل يتولى كفعل مادي حيادي غير مقترن بعقيدة الولاء والبراء وهو التولي الى الظل (نبي الله موسى بعد سقى للفتاتين)

السؤال المطروح هنا في سورة عبس الشخص العابس في وجه الأعمى والمتولي عنه اذا كان هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في أي قسم سنصنف توليه عن الرجل الاعمى؟

بطبيعة الحال ليس في المتولي الكافر وليس في متولي نبي عن كافر ولا متولي نبي عن رجل عاص

حسب أمهات التفاسير التي اخبرتنا ان الرجل الاعمى هو رجل مسلم جاء للرسول صلى الله عليه وسلم حتى يتعلم بعض أمور دينه والرسول صلى الله عليه واله وسلم كان في مجلس يدعوا وجهاء الكفار ويعرض عليهم الإسلام ووظيفة الرسول صلى الله عليه واله وسلم هي دعوة الكفار الى الإسلام خاصة وجهاء وكبار الكفار لأن في اسلامهم اسلام أتباعهم

في تصنيف الآيات التي تتحدث عن التولي لم نجد آيات تتحدث عن تولي شخص عن اخر وهما من قسم واحد او معسكر واحد فان المتولي دوما

يكـون مغـاير لمـن اعـرض عـنهم لأن هـذه هـي الطبيعـة البشـرية والسـنة الاجتماعيـة والكونيـة (الطيبـون للطيبـات والخبيثـون للخبيثـات) أهـل الحـق يتولوا عن اهل الباطل واهل الباطل يعرضوا عن اهل الله الحق

الرجـل الاعمـى الـذي جـاء للرسـول صـلى الله عليـه والـه وسـلم لأجـل ان يعلمـه الـدين وهـو يعلـم ان الرسـول صـلى الله عليـه والـه وسـلم فـي مجلـس يعـرض الإسـلام علـى وجهـاء كفـار قـريش هـو بطبيعـة الحـال لـيس كـافر حتـى يتولى عنه الرسول صلى الله عليه واله وسلم

يبقـى تصـنيف واحـد فقـط وفـق التصـنيف القرآنـي لفعـل تـولى نسـتطيع ان نضـع فيـه تـولي الرسـول صـلى الله عليـه والـه وسـلم عـن الرجـل الأعمـى وهـو ان الرجـل الاعمـى جـاء بمعصـية مثلمـا جـاء أولاد يعقـوب علـيهم السـلام بمعصـية فتـولى عـنهم نبـي الله يعقـوب قبـل ان نفصـل أكثـر فـي هـذه النقطة لنعرض اقوال تفاسير السنة في شخص العابس الذي تولى

مع تفاسير السنة

سنعرض هنا اهم التفاسير السنية وتفسيرها لبداية سورة عبس والشخص العابس في السورة بداية بتفسير الطبري والزمخشري ثم القرطبي

تفسير الطبري

وذُكر أن الأعمى الذي ذكره الله في هذه الآية، هو ابن أم مكتوم، عوتب النبي صلى الله عليه وسلم بسببه. عن عائشة قالت: أن نزلت { عَبَسَى وَتَوَلَّى } في ابن أم مكتوم، قالت: أَتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قال: وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قال: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُعْرِض له، ويقبِل على الآخر، ويقول" :أتَرَى بِما أقُولُهُ بأْسا؟ "فيقول: لا ففي هذا أُنزلت: { عَبَسَ وَلَّى }.

وعن ابن عباس اتى: { عَبَسَ وَتَوَلى أنْ جاءَهُ الأعْمَى } قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، ويصدق لهم كثيرا، ويعرِض عليهم أن يؤمنوا، فأقبل عليه رجل أعمى، فأخبره عبد الله بن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقر أمر النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن، وقال: يا رسول الله، عَلَّمني مما علَّمك الله، فأعرض عنه رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وعَبَس في وجهه وتوّلى، وكِرِه كلامه، وأقبل على الآخرين فلما قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينقلب إلى أهله، أمسك الله بعض بصره، ثم خَفَق برأسه، ثم أنزل الله: { عَبَسَ وَتَولَّى أنْ جاءَهُ الأعْمَى وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } ، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه، وقال له " :ما حاجَتُك، هَلْ تُرِيدُ مِنْ شَيْءٍ؟ "وإذا ذهب من عنده قال له « " :هَلْ لكَ حاجَةٌ. فِي شَيْءٍ؟ " " »وذلك لما أنزل الله } :أمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فانْتَ لَهُ تَصَدَّى وَما عَلَيْكَ ألاَّ يزَّكَّى{

تفسير الزمخشري

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أمّ مكتوم - وأمّ مكتوم أم أبيه، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك ابن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي -وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام. والعباس ابن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم - فقال يا رسول الله، أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه ، وعبس وأعرضه، فانزلت سورة عبس وكان بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له

هل لك من حاجة؟ وخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية ودرعها راية سوداء.

تفسير القرطبي

فيه ست القضايا: الأولى – قال: { عَبَسَ } أي كلح وجهه فقال: عبس وبَسَر. وقد تم . { وَتَوَلَّىٰ } أي أعرض وجهه { أَن جَآءَهُ } «أنْ» في موضع نصب لأنه مفعول له، بمعنى لأنه جاءه الأعمى، أي الذي لا يبصر بعينيه. فروى التفسير أجمع أن قوماً من أشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقْطَع عبدُ الله عليه كلامه، فأعرض عنه، ففيه نزلت هذه الآية. قال مالك: إن هشام بن عُروة حدثه عن عروة، قال: نزلتْ «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا محمد استدني، أنت النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من عظماء المشركين. صلى الله عليه وسلم يُعرِض عنه ويُقْبل على الآخر، ويقول " :يا فلان، هل ترى بما تقولُ بأساً "فيقول: لا والدُّمَى ما ترى بما ترى بما تقول بأساً فأنزل الله «عبس وتولى». الترمذي مسنداً قال: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأجموي، حدثني أبي، قال هذا ما عرضنا على هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة، قالت: نزلت «عبس وتولى» في ٱبن أم مكتوم الأعمى، أتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وانت رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْرض، ويستقْبل على الآخر، ويقول: «أترى بما في ذلك وأقول بأساً» في القول: لا وفي هذا نزلت " قال: هذا حديث غريب. الثانية ـ

الآية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في إعراضه وتوليه عن عبد الله بن أم مكتوم. ويقال: عمرو بن أم مكتوم، وٱسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم، وعمرو هذا: هو ٱبن قيس بن زائدة بن الأصمّ، وهو ٱبن خال خديجة رضي الله عنها. وقد تشاغل منه رجل من عظماء المشركين، قيل أنه الوليد بن مغيرة. ٱبن العربي: قاله المالكية من علمائنا، وهو يكني أبا عبد شمس.

وقال قتادة: هو أمية بن خلص عنه: أبيّ بن خلف.

وقال مجاهد: كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ٱبنا ربيعة وأبيا بن خلف.

وقال عطاء عتبة بن ربيعة.

سفيان الثوري: كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس.

الزمخشري: كان عنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ٱبنا ربيعة، أبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خَلَف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام، راجاء أن يُسْلم بإسلامهم غيرهم.

قال ٱبن العربيّ: أما قول علمنا إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آمنه أمية بن خلف وهذا باس كامل باطل وجهل من المفسرين الذين لم يحققوا الدين، ذلك أن أمية بن خلف والوليد كان بمكة وبناً أمّ مكتوم كان بالمدينة، ما حضر معهم ولا حضروا له ، وكان موتهما كافرين، لأنه قبل الهجرة، موجود ببدر، ولم يقصد قطة أم المدينة، ولا حضر عنده مفرداً، مع أحد. الثالثة - أقبل ٱبن أمّ مكتوم ونبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمنه من وجوه قريش يدعوهم إلى الله، وقد قوِي طمعه في إسلامهم، وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قوميهم، فجاء ٱبن أمّ مكتوم وهو أعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وعلم يناديه ويكثر النداء، ولا يدري أنه مشتغل بغيره، حتى عصر الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعة كلامه، وقال في بنفسه: يقول الشيء: إنما أتبعه العُميان والسَّافلة والعبيد فعبَس وأعرضه، فن زالت الآية. قال الثوريّ» :فالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له ويقول: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي». ويقول: «هل من حاجة » «؟ و استتخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزتهما. قال أنس: فرأيته يوم القادسية راكباً درعاً ومعه راية بيضاء. الرابعة -

قال علمؤنا: ما فعل ٱبن أمّ مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً من النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، ذكي أرجو إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصُّفَّة أو ليعلم أن المؤمن

الفقير خير من الغني، والنظر إلى المؤمن يجب أن يكون فقيراً أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم، وإن كان نوعاً من ذلك، وعلى هذا يقول } : مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ { [الأنفال: 67] الآية. على ما نتوقع.

وقيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل، المعرفة بما في قلب ٱبن أم مكتوم من الإيمان كما قال" :إني لأصل الرجل وغيره أحب إلي منه، مخافة أن يكُبه الله في النار على وجهه ."

خامس - قال ٱبن زيد: إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لا بن أم مكتوم وأعرض عنه أنه مشترك إلى الذي كان يقوده أن يكفه، فدفعه ٱبن أمّ مكتوم، وأبى إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه، ففي هذا نوعُ جفاء منه.

ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم: «عبَس وتولَّى» بلفظ الإخبار عن الغائب، تعظيماً له ولم يقل: عبستَ وتوليتَ.

تفسير الرازي

القضايا الأولى: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم - وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤى - وانته صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف،

والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام، فرجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اطلبني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه للامه، وعبس وأعرض فنزلت هذه الآية، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه، ويقول: إذا رآه "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي" ويقول ":هل من حاجة وخلفه على المدينة"

وفي الموضع سؤالات: الأول: أن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر، وعندما عاتب الله رسوله على أن أدب ابن أم مكتوم وزجره؟ وينبغي قلنا: إنه كان يستحق التأديب لوجوه أحدها: أنه وإن كان لفقد بصره لا يرى القوم، لكنه سمعه كان يسمع مخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار، ويسمع أصواتهم، ولا يأذن بذلك اشتراك الكلمات التي بذل جهد النبي صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى ذلك، فأقدامه على قطع كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولقاء نفسه في البين قبل تمام الكثير من النبي إيذاء للنبي عليه الصلاة والسلام، وذلك معصية عظيمة وثانيها: أن الأهم مقدم على المهم وهو كان قد أسلم وتعلم، ما كان يحتاج إليه من أمر الدين، أما الكفار فما كانوا قد أسلموا، وهو إسلامهم سبباً لإسلام جمع عظيم، فإلقاء ابن أم مكتوم، ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم، إلى قليل وذلك محرم

وثالثها: أنه قال } :إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرِتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُون { [الحجرات: 4] فنها عن مجرد النداء إلا في الوقت، فهنا هذا النداء الذي أصدر كالصارف للكفار عن قبول الإيمان وكالقاطع على الرسول أعظم أهميته، أولى أن يكون ذنباً ومعصية، فثبت بهذا أن الذي فعل ابن أم مكتوم كان ذنباً ومعصية، وأن الذي فعله الرسول كان هو الصواب، وهنا يطرح السؤال فيه كيف عاتبه الله على ذلك الفعل؟.

السؤال الثاني: أنه لما عاتبه على مجرد عبس في وجهه، كان تعظيماً عظيماً من الله سبحانه وتعالى لابن أم مكتوم، وإذا كان كذلك ويتبع بمثل هذا التعظيم أن يمزح باسم الأعمى مع أن ذكر الإنسان بهذا الوصف يقتضي تحقير جداً؟.

السؤال الثالث: الظاهر أنه عليه الصلاة هو مأذون له في أن يعامل أصحابه حسب ما حسب ما تثبته الثقة والصلاة والسلام كثيرا ما كان يؤدب أصحابه ويجرهم عن أشياء، وكيف لا يكون كذلك عليه الصلاة والسلام إنما بعث ليؤدبهم وليعلمهم محاسن الآداب، وإذا كان كذلك كان ذلك الالتزام داخلاً بإذن الله تعالى في تأديب أصحابه، وإذا كان ذلك مأذوناً فيه، فلا جملة ما يتعلق بهذا الموضع من الإشكالات

والجواب عن السؤال الأول من وجهين الأول: أن الأمر وإن كان على ما ذكرتم إلا أن ظاهر يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، ونظيره قال } :ولاَ تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِى { [الأنعام: 52]،

والوجه الثاني: لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من التصرف الظاهر، بل على ما كان منه في قلبه، وهو أن قلبه عليه الصلاة والسلام كان قد مال بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو موقفهم، وكان ينفر طبعه عن الأعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه، فلما وقع الالتزام والتولي لهذه الداعية غير المعاتبة، لا على التأديب بل على التأديب لأجل هذه الداعية

والجواب عن السؤال الثاني أن ذكره بلفظ الأعمى ليس لتحقير ، بل مصطلحه: إنه بسبب عماه استحق قراءة الرفق والرأفة.

والجواب عن السؤال الثالث أنه مأذون له في تأديب أصحابه لكن ههنا لما أوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين، فلهذا السبب لماذا هذه المعاتبة.

ولهذا السبب الثاني: القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام يتمسكوا بهذه الآية وقالوا: لما عاتبه الله في ذلك الإجراء، دل على أن ذلك المشهد كان معصية، وهذا البعيد قد بينا أن ذلك فإن هو اضطر المتطلب لا يأخذ بعين الاعتبار هذا الواحد، وهو يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء، وذلك بشكل لائق غير بصلابة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا كان كذلك، كان ذلك جارياً ترك الاحتياط، وترك الكمال، فلم يكن هناك ذنباً ألبتة.

تفسير ابوبكر جابر الجزائري

شـــرح الكلمـــات :عـــبس: أي النبـــي صـــلى الله عليـــه وسـلم بمعنـى كـل وجهـه وتغيـره .وتـولى: أي أعـرض .أن جـاءه الأعمـى: أي أجـل أن جـاء عبـد الله بـن أم مكتـوم فقطعـه هـو مشـغول بـه مـن دعـوة بعض أشراف قريش للإسلام .

معنـى الآيـات : { عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَآءَهُ ٱلأَعْمَى } هـذا عتـاب لطيـف يعاتـب بـالله سـبحانه وتعـالى رسـوله محمـدا صـلى الله عليـه وسـلم فالـذي عـبس بمعنـى طـرف وجهـه وأعـرض هـو رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم والأعمـى صـلى لأجلـه عـبس رسـول الله وأعـرض عنـه هـو عبـدالله بـن أم مكتـوم الأعمـى أحـد المهـاجرين ابـن خـال خديجـة بنـت خويلـد أم المـؤمنين. وسـبب هـذا العتـاب الكـريم أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم كـان فـي مكـة يومـا ومعـه صـناديد قـريش عتبـة وشـيبة ابنـا ربيعـة وأبـو جهـل والعبـاس بـن عبـد المطلـب وأميّـة بـن خلـف يـدعوهم إلـى الإسـلام مجتهـدا ويتمكـنهم ويـرهبهم طمعـا فـي إسـلامهم فجـاء عبـد الله بـن أم مكتـوم ينـادي يـا رسـول الله اقرئنـي وعلمنـي ممـا علمـك الله وكـرر ذلـك ولـذلك فوكـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فكـره رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم لحديثـه. مـع القـوم فعـبس وتـولى لا يجيبـه، وإن عـاد النبـي صـلى الله عليـه وسـلم إلـى منزلـه حتى نزلت هذه الآيات { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ } أي طرف وأعرض

تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي

وسبب نزول هذه الآيات الكريمات، جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ويتعلم منه. وجاء رجل من الأغنياء، وكان صلى الله عليه وسلم يسكن على هداية الخلق، فمال صلى الله عليه وسلم [وأصغى] إلى الغني، وصد عن الأعمى الفقير، رجاءً هداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتب الله هذا العتاب اللطيف، فقال: { عَبَسَ } [أي:] في وجهه { وَتَوَلَّىٰ } في بدنه، لأجل مجيء الأعمى له، ثم ذكر التحفيز في الإقبال عليه، فقال: { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ } أي: الأعمى { يزَّكَّىٰ }؟ أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟ { أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ } أي: ما ينفعه، فيعمل الحج. وهذه ميزة كبيرة، هي واضحة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقراً لذلك منك، هو الأليق استعداد، وأما تصديك وتعرضك لغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي حتى يخرج في الخير، مع تركك من هو أهم منه.

تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن/ الشنقيطي

سبب نزول هذه السورة باتفاق المفسرين، أنه صلى الله عليه وسلم كان مشغولاً بدعوة صناديد قريش، فأتاه ابن أم مكتوم، وهو رجل أعمى قال: " أقرِئني يا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، وعلّمني مما علَّمكَ الله " وكرر ذلك، فلم يكمل ذلك وما. هو مشتغل به صلى الله عليه وسلم، وما يرجوه مما هو أعظم، ففعبس وتولى عنه منصرفاً، لما هو مشتغل به. قال رحمة الله تعالى علينا في دفع إيهام الاضطراب على لسان: { أَن جَآءَهُ ٱلأَعْمَىٰ } ما نصه: عبّر عن هذا الصحابي الجليل الذي هو عبد الله بن أم مكتوم، بلقَب يكرهه الناس، مع قوله تعالى: { وَلاَ تَنَابَزُواْ بِٱلأَلْقَابِ } [الحجرات: 11]. والجواب: هو ما نبه عليه بعض العلماء: من أن السر في التعبير عنه بلفظ الأعمى، للإشعارات بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما كلام قطعه اهـ منه بلفظه. وقال الفخر الرازي: إنه إذا كان أعمى لا يرى، فإنه يسمع ويسمعه حديث رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ويقدامه على مقاطعته يكون مرتكباً معصية، فكيف يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلامه هذا يشعر بأنه إن كان معذوراً لا يمكن الرؤية، فلا معذوراً لمكان يسمعه، ولكن ذكره متنوع ليتمتع بالعطف والرفق به. والظاهر والله المستفاد: أن كلام الرازي ليس إلى عمَّا ذكره الشيخ، لأن معنا أنه عاقبه ولا رفقه به. ومرعاة حالة عماه. فعليه، قد ذكره بهذا الوصف من باب التعريض بغيره من الصناديد وسادة القوم، قوي يقول لهم: { فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَىٰ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ } [الحج: 46]، فهذا كفيف البصر، ولكن قاد البصيرة أبصر الحق وآمن، جاء مع عماه الرياضي طلباً للمزيد، وأنتم تغلق قلوبكم وميت بعصائركم فلم يثبتوا الحقيقة ولم تبصروا نور الإيمان، كما في الآية: { فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَىٰ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ } والعلم عند الله. تنبيه مما غير مألوف عليه المحدثون: جوازات ذكر مثل هذه الأوصاف إذا كانت للتعريف لا للتنقيص، فقالوا: الأعمى والأعور والأعرج. الحرف قال: الخراز، والجوانى، ونحذ ذلك، وهذا ما فيه مصلحة لترجمة الرجال في السند. ومثله: ليس تنابزاً بالألقاب في هذا الفن. والله أعلم. ومثله: إذا كان للتعريف في سليم دون نقص كما نقدم. وقوله: { عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ } ، فيه مثل ما فيت: { أَن جَآءَهُ ٱلأَعْمَىٰ } لأن العبوسة أمر لا يستحق في الظاهر مع أنه في حقه صلى الله عليه وسلم،

تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن/ البقلي

بين الله سبحانه وتعالى الفقر وعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير اهلها وان الفقر إذا كان نعت الصادق فى المعرفة والمحبة كان شرفا له وهو من اهل الصحابة ولا يجوز الاشتغال بصحبة الاغنياء ودعوتهم الى طريق ما اذا كان سجيتهم لم يكن سجية اهل المعرفة فاذا كان حالهم كذلك لا يأتون الى طريق الحق بنعت التجريد فالصحبة معها ضائع الا ترى كيف عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الآية.

تفسير سيد قطب

بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب! وفي هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب -سبحانه - أن يواجه به نبيه وحبيبه . عطفا عليه، ورحمة به، وإكراما له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه

ثم يستدير التعبير -بعد مواراة الفعل الذي نشأ عنه العتاب -يستدير إلى العتاب في صيغة الخطاب. فيبدأ هادئا شيئا ما: (وما يدريك لعله يزكى ? أو يذكر فتنفعه الذكرى؟) ...

ما يدريك أن يتحقق هذا الخير الكبير؟ أن يتطهر هذا الرجل الأعمى الفقير -الذي جاءك راغبا فيما عندك من الخير -وأن يتيقظ قلبه فيتذكر فتنفعه الذكرى .

وما يدريك أن يشرق هذا القلب بقبس من نور الله، فيستحيل منارة في الأرض تستقبل نور السماء؟ الأمر الذي يتحقق كلما تفتح قلب للهدى وتمت حقيقة الإيمان فيه. وهو الأمر العظيم الثقيل في ميزان الله.

الخلاصة

يمكن تخليص ما جاء في التفاسير السنية على تنوعها من أمهات التفاسير وتفاسير حديثة وصوفية النقاط التالية:

- اجماع كل التفاسير السنية بتنوع واختلاف مدارسها (التفاسير الوهابية والأثرية والصوفية وامهات التفاسير والتفاسير الحديثة...) ومعهم

التفاسير الاباضية ان الشخص العابس الذي تولى في سورة عبس هو الرسول صلى الله عليه واله وسلم

- **الدليل المعتمد في هذا التفسير هو أحاديث نقلها لنا الصحابة رضي الله عنهم**
- **سبب قيام الرسول صلى الله عليه وله وسلم بالعبوس في وجه رجل اعمى والاعراض عنه هو ان الرجل المسلم جاء في وقت غير مناسب والرسول صلى الله عليه واله وسلم يدعوا ويشرح الإسلام لكبار كفار قريش على اختلاف أسمائهم في الروايات السنية**
- **نزلت السورة عتاب من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ولتبين لنا ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم على جلالة قدره ومقداره فهو ليس فوق العتاب واللوم**
- **توضح السورة هنا ان عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم عصمة فيما ينقل على ربه فقط أي فيما ينزل من وحي من السماء اما دون ذلك فهو بشري غير معصوم يعبس ويتولى ويعاتبه الله عز وجل**
- **في هذه السورة دليل ان القران الكريم هو من عند الله عز وجل وليس من خلق او صنع محمد صلى الله عليه واله وسلم فلا يوجد عاقل يؤلف سورة يعاتب فيها نفسه من طرف مولاه ويجعل نفسه يقوم بعبوس وتولي عن رجل أعمى**

تفاسير الشيعة:

بعد ان عرضنا بعض تفاسير السنة من أمهات التفاسير وبعض التفاسير الحديثة نعرض هنا بعض كتب تفسير الشيعة ونبدأها بتفسير الطوسي

تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن/ الطوسي

قال قوم: إن هذه الآيات نزلت في رجل من بني أمية كان واقفاً مع النبي صلى الله عليه وآله، فلما أقبل ابن أم مكتوم تنفر منه، ويحقق نفسه وعبس في وجهه وأظهر وجهه عنه فحكى الله ذلك وكره معاتبة على ذلك. ويقوله { وما يدريك } خطاب للنبي صلى الله عليه وآله ويقدره { قل } يا محمد { وما يدريك لعله يزكى } الجدد اضاف العبوس إلى النبي صلى الله عليه وسلم من العقود { وما يدريك } أنه رآه متوجهاً إلى الظن انه عتب له دون أن يكون متوجهاً عليه أن يقول لمن يفعل ذلك ويوبخه عليه.

تفسير الميزان في تفسير القرآن/ الطبطبائي

بيان وردت الروايات من قصة أهل السنة أن الآيات نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانته قوم من صناديد قريش يناجيهم في أمر الإسلام فعبس النبي عليه فعاتبه الله بهذه الآيات وفي بعض الأخبار من طرق الشيعة إشارة إلى ذلك.

وفي بعض روايات الشيعة أن العابس المتولي رجل من بني أُميَّة كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل عليه ابن أم مكتوم فعبس الرجل وقبض وجهه فنزلت الآيات.

نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهروي بني من عامر بن لؤي. ولذلك أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابياً وأمية بن خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال يا رسول الله أقرني وعلمني مما علَّمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى أصبح الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يمكن أن يكلّمهم فنزلت فيه الايات.

ورسول الله بعد ذلك يكرمه، وإذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويقول له هل لك من حاجة؟ وخلفه على المدينة مرتين في الغزوتين.

ظاهرة الدلالة على أن المراد بها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه بل فيها ما يشير إلى أنه رحيم مع غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم الوصف فهو يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الذهبية كما عن المرتضى رحمه الله.

وقد عظّم الله خلقه صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال - وهو قبل نزول هذه السورة - { وإنك لعلى خلق عظيم }

ثم يعقل أن يعظم الله خلقه في أول بعثته ويطلق القول في ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية ويذمه

وعن الصادق عليه السلام أنها نزلت في رجل من بني أُمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقذر منه ويحقق نفسه وعبس وأظهر وجهه عنه فحكى الله سبحانه وتعالى وأن عليه الكره.

الخلاصة

ترى المدرسة الشيعية دل الدليل القاطع على عصمة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في كل شيء، ثم جاء في الآيات ما ربما يظهر منه في بادئ الرأي خلاف ذلك، فلا بد من اتهام أنفسنا في فهم معناه. ومحاولة اكتشاف منشأ الاشتباه، فإن لم يمكنا ذلك، فعلينا أن نرد علمه إلى أهله. ولا يجوز لنا نقض ذلك الدليل القطعي على العصمة، لمجرد شبهة ناشئة عن قصورنا في فهم النص.

روى الطبرسي عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا رأى ابن أم مكتوم، قال: مرحباً، مرحباً: لا والله، لا يعاتبني الله فيك أبداً.

حيث يظهر من هذا النص الشريف: أنه (صلى الله عليه وآله) كان يريد بقوله هذا التعريض بمن صدر منه في حق ابن أم مكتوم ما أوجب نزول العتاب الإلهي له فيه.. فكأنه (صلى الله عليه وآله) يقول لابن أم مكتوم: إني لا أعاملك كما عاملك فلان[1].

وبالتالي فعبس وتولى لا تتناسب مع عصمة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما لا تتناسب مع خلقه العظيم ومعاملته الأخلاقيّة حتّى مع المشركين؛ فالأحاديث الدالّة على انّ المقصود من الضمير في قوله: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ)، وقوله: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ)، وقوله: (فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ) هو النبي صلّى الله عليه وآله، نعوذ بالله لا بدّ من طرحها، فانّها مخالفة للقرآن العظيم الذي يخاطب النبي الأعظم ويقول: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

فمن المستحيل ان يعبس النبي صلّى الله عليه وآله في وجه رجل مؤمن مثل ام مكتوم الذي كان مقرّباً اليه ومؤذّنه؛ فلابدّ ان تكون الآيات متوجّهة الى شخص آخر غير النبي صلّى الله عليه وآله، وقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام انّه كان رجل من بني اُميّة.

والعجيب هو انّ الآيات نزلت في مكّة وابن ام مكتوم هو مدني، لم يجتمع مع الصناديد المذكورين في هذه الروايات بمكّة، كما اعترف به بعض المفسّرين من أهل السنّة كالآلوسي في روح المعاني، كما اعترف بان هذه الروايات مجعولة.

وكلّ من دقّق في لسان هذه الروايات يرى أنّها وضعت للإساءة بمقام النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله، والحطّ من عظمته وكرامته وعصمته.

---

[1] https://www.islam4u.com/ar/shobahat/ شبهات وردود الشيخ جعفر مرتضى العاملي

واليك رواية واحدة، انظر كيف يُهان الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله:

أخرج السيوطي في الدرّ المنثور:

عن ابنِ عباسٍ قال: بينا رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم يناجِى عتبةَ بنَ ربيعةَ والعبّاسَ بنَ عبدِالمطلبِ وأبا جهلِ بنَ هشامٍ، وكان يَتَصدَّى لهم كثيراً، وجعَل عليهم أن يُؤمِنُوا، فأقبَل إليه رجلٌ أعمَى، يقالُ له: عبدُاللهِ بنُ أمِّ مكتومٍ. يَمشِى وهو يناجِيهم، فجعَل عبدُالله يَستقرئُ النبيَّ صلّى الله عليه وسلم آيةً من القرآنِ، قال: يا رسولَ اللهِ، عَلّمْنى ممَّا علَّمك اللهُ. فأعرَض عنه رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم وعبَس في وجهِه، وتَولّى وكرِه كلامَه، وأقبَل على الآخرِين، فلمّا قضَى رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم نَجواه وأخَذ يَنقَلِبُ إلى أهلِه، أمسَك اللهُ ببعضِ بصرِه، ثم خفَق برأسه، ثمّ أنزَل الله: (عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ). فلما نزَل فيه ما نزَل أكرَمه نبيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم وكلَّمه، يقولُ له: «ما حاجتُك؟ هل تريدُ من شيءٍ؟».

أقول: هل هذه الأمور من الخلق العظيم الذي وصف الله تعالى نبيّه به :

أ. وظيفة النبي صلّى الله عليه وآله تعليم القرآن، وقد طلب منه الأعمى تعليمه آية من القرآن لا أكثر، فكيف يترك وظيفته تجاه رجل مؤمن؟

ب. العبوس في وجه المؤمن.

ج. الاعراض عن المؤمن.

د. كراهة التكلّم مع المؤمن.

هـ. ترك المؤمن والاقبال على الآخرين الذين كانوا مشركين.

وهل تؤمن أنت بنبي يعامل أُمّته والمؤمنين بنبوّته بمثل هذه المعاملة، ولو كان غرض النبي صلّى الله عليه وآله هداية ذلك الجمع، فنفس عبوسه واعراضه عن أحد أتباعه وكراهة التكلّم معه كان مانعاً عن اسلامهم.[2]

كما أن ضمير المفرد المخاطب قد ورد في سور عديدة يراد بها غيره صلّى الله عليه وآله ، كما في سورة القيامة : (فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) [القيامة : ٣١ - ٣٥]. فابتدأ بصورة المفرد الغائب ، ثمّ بصورة المفرد المخاطب عدولاً من الغيبة إلى الخطاب في ضمير المفرد ، كما في سورة عبس.

وكذلك في سورة المدثر : (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) [المدثر : ١٨ -٢٧]. فإنّه تعالى ابتدأ بضمير المفرد الغائب في عبس وبسر ، ثمّ في الأخير عدل إلى ضمير المفرد المخاطب مع أنّ المعني في هذه الآيات من سورة المدثر هو الوليد بن المغيرة المخزومي ، فصرف كون الضمير مفرد مخاطب لا يدلّ على كون المراد به النبي صلّى الله عليه وآله في الاستعمال القرآني.

أنّ الآيات تحكي خلقاً مستمراً لمن تخاطبه بصيغة الجملة الفعليّة ، والفعل المضارع الدالّ على الإستمرار لا قضيّة واحدة في واقعة ، ويأبى الخلق النبوي العظيم أن تكون صفته وخلقه المستمرّ أن يرغب في التصدّى إلى الأغنياء ، ويتنفر ويصدّ

---

2 - هل عبس النبي صلّى الله عليه وآله في وجه ابن أمّ مكتوم ؟ السيّد جعفر علم الهدى / موقع العقائد الإسلامية

ويلهو عن الفقراء ، فذيل الآيات صريح في استمرار هذا الخلق الشيء في المخاطب بالآيات.

أمّا دعوى أنّ لسان سورة عبس هو نظير ما ورد في سورة الكهف والأنعام من قوله تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ) [الكهف : ٢٨].

وقوله : (وَلاَ تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنْ الظَّالِمِينَ) [الأنعام : ٥٢].

فلسان الآيتين يفترق ببون شاسع مع لسان سورة عبس ؛ فإنّ لسانهما الإنشاء والأمر والنهي لا الإخبار بوقوع الفعل كما في سورة عبس بل بوقوع استمرار الفعل والصفة المذمومة ، وبالتالي فإنّ لسان الإنشاء متعارف في الاستعمال القرآني هو من باب إيّاك اعني واسمعي يا جارة ، نظير قوله تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) [الزمر : ٦٥] ، أيّ : أنّ المراد الجدّي من الخطاب هو عموم الناس تحذيراً وانذاراً لهم.[3]

---

[3] أسئلة وردود / الشيخ محمد السند موقع شبكة رافد https://research.rafed.net/

التحليل النفسي للحادثة

بناء على ما حفظ لنا من أقوال الصحابة الكرام والتابعين الأخيار نفهم أن الصحابي الجليل ابن أم مكتوم رضي الله عنه أتى مجلس الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ومعه بعض كبراء قريش – حملت الروايات المختلفة عدة تأليفات مكونة من مجموعة أسماء – وكان الرسول الأكرم يحاورهم ويدعوهم وهو منشغل بأمرهم فقطع ابن أم مكتوم حديثهم بقوله مخاطبا الرسول عليه الصلاة والسلام "يا رسول الله أرشدني " واللفظ في حديث أمنا عائشة رضي الله عنها.

وفي حديث آخر قالت أن ابن أم مكتوم سأل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وفي حديث ابن عباس جاء أن ابن أم مكتوم استقرأ الرسول الأكرم آية من القرآن وأنه خاطبه قائلا" علمني مما علمك الله"

وما يلفت نظر الدارس المدقق يمكن بسطه في النقاط التالية:

أولا هو أن عبارة ابن أم مكتوم وأيا كانت مما تقدم لم تكن على شكل سؤال محدد ومباشر ومستعجل لا ينتظر إلى أن يفرغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه مما هو خائض فيه، بل جميعها عبارات فضفاضة ومطاطية وكأن ابن أم مكتوم يقول لرسولنا الأكرم عليه الصلاة والسلام خاطبني وحسب ولتحدثني بما تشاء.

ثانيا أنه إذا استحضرنا وسلمنا ببشرية الصحابة الكرام بعيدا عن التنزيه وكان في الحسبان أنهم كغيرهم من البشر قد تصدر عنهم بعض التجاوزات ويأتون بعض ما يُستنكر لكان من الطبيعي والوارد جدا ما دام الحال كما كان عليه أيام الدعوة المحمدية بل وفي كل الأزمنة والعصور وداخل كل المجتمعات أن سيكون هناك حقد اجتماعي وبغضاء وشحناء وتنافر بين الكبراء والضعفاء والأغنياء والفقراء.

ثالثا ابن أم مكتوم حتما كان يعلم انشغال الرسول عليه الصلاة والسلام وكان الأولى واللائق أن يرجئ سؤاله أو طلبه إلى أن يفرغ الرسول الأكرم مما هو خائض فيه خاصة ان طلبه ليس بالأمر الجلل ولا الكبير فهو يريد ان يتعلم علم إضافي وليس أساسي والعلم الأساسي قد حصل

عليه وهو الإسلام فيعلم ان لا اله الا الله وان سيدنا محمد رسول الله اما العلم الإضافي فهو كل معلومة في الدين زيادة وليس العلم الإضافي بأمر استعجالي يستوجب منه الالحاح وتكرار السؤال.

السؤال المطروح: ما الذي جعل ابن أم مكتوم يتجاوز ويصر على أن يسمع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ساعتها؟ فما الذي أعجل ابن أم مكتوم يا ترى؟

الجواب: يُفهم بإعمال الملكة، ملكة الذكاء الباطن حسب مصطلحات علم النفس أو ملكة ذكاء القلب كما تقول العرب أن غرض ابن أم مكتوم لم يكن طلب العلم البتة! لم يكن يريد جوابا لسؤال يؤرقه ويشغل باله إذ لو كان كذلك لأمكن لابن أم مكتوم أن ينتظر إلى أن يتفرق الحضور ويفرغ الرسول عليه الصلاة والسلام، إنما كان الهدف والقصد من قطعه لحديثهم هو أن يسلب الحضور من الكبراء شرف التحاور والسماع من الرسول الكريم فيتحول الخطاب النبوي الموجه إليهم إلى ابن أم مكتوم وكأنه بصنيعه يقول لغرمائه أو غريمه من الحضور أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس كمن عرفوا من الملوك وذوي الجاه والسلطان وأن الاعتبارات السائدة والمقاييس المعمول بها في المجتمعات العربية عندئذ غير معمول بها في مجلسه عليه الصلاة والسلام، وأنه إذا – أي ابن أم مكتوم – نُظر إليه من قبله – أي من قبل غريمه – بازدراء واحتقار فهو موقر وله قدره ومنزلته عند الرسول الكريم، وما كان صلوات الله وسلامه عليه غمرا حتى يغفل عن القصد الخفي لصاحبه ، بل أدرك عليه الصلاة والسلام بذكاء قلبه المتقد غرض ابن أم مكتوم فتلهى عنه " فأنت عنه تلهى" بما كان خائضا فيه قبل قدومه، فصار من وصفه ربه بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) بين المطرقة والسندان، كيف؟

أجيب: غريم ابن أم مكتوم الوليد ابن المغيرة هو المعني بحركة ابن أم مكتوم فطن كذلك لمرمى ابن أم مكتوم وكان يأمل أن ينهره الرسول الأكرم ويرده عنهم وهو صاحب المجلس لذلك انتظر ما سيكون من الرسول الكريم وابن أم مكتوم يسأل – والغالب أنه كان يسأل ويعيد ويلح – ولما لم ير الوليد العنيد من صاحب الخلق العظيم عليه الصلاة والسلام ما كان يأمله عبس في وجه ابن أم مكتوم وتولى " عبس

وتولى" وهم بالإنصراف فتصدى له الرسول الكريم " وأما من إستغنى فأنت له تصدى " هذا من جهة الوليد، ومن الجهة المقابلة أي جهة ابن أم مكتوم نجده يسأل ويعيد وهو يطمع في قضاء حاجته فيشرف بخطابه عليه الصلاة والسلام وينغص على الآخر العابس، حينها بدا لصاحب الخلق العظيم رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه أن الأنسب والأصلح في هاته الحال أن لا يمكن الإثنين مما يبتغيان وذاك ما كان فلا هو صلوات الله وسلامه عليه نهر ابن أم مكتوم فألزمه الصمت أو أمره بالانصراف فيتحقق للوليد ما أراد، ولا هو رد عليه فأسمعه كلمة أو كلمتين لينوله مراده.

لنقف عند قوله جل من قائل: " كلا إنها تذكرة، فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة" كلا حرف ردع وزجر، ترى من الذي زجر وردع ولمَ؟ الجواب: علم علام الغيوب سبحانه ما كان وما هو كائن وما سيكون فزجر وردع أمة "إقرأ" حين تجاوزت – بل قبل أن تفعل – حين تجاوزت ونسبت لنبيها وقدوتها ما لم يكن وزعمت أنه صلوات الله وسلامه عليه كان العابس المقصود المقطب للجبين ولو كان الأمر كما زعموا وأخذنا بما هو سائد لما وجدنا وجها لهذا الردع والزجر.

"كلا إنها تذكرة"

معناه أن السورة ليست عتابا أو لوما لرسولنا الكريم بل هي تذكرة وما كان ينبغي له صلوات الله وسلامه عليه أن يتلهى عن صاحبه بل كان الأنسب أن ينوله مراده رغم فعلته وما بطويته ويسمعه كلمة أو كلمتين ولو من قبيل "لاحقا يا صاح" لأن حركة ابن أم مكتوم حتى وإن كانت كما بينت إلا أنها تبقى دالة على حقيقة كبرى ينادي بها هذا الدين الجديد إذ الكل سواسية كأسنان المشط(وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) ، كما أن الهاء الضمير في قوله تعالى: "فمن شاء ذكره" تعود على العابس وجاءت صيغة الغائب كما كان في مطلع السورة "عبس وتولى أن جاءه الأعمى" والغائب والعابس ما هو إلا الوليد بن المغيرة.

والملحظ الوجيه أننا نجد المفسرين يقولون أن ورود صيغة الغائب في قوله سبحانه "عبس وتولى" كان من باب الإشفاق الرباني على نبينا صلوات الله وسلامه عليه وقولهم ليس صحيحا لأننا نجد في القرآن الكريم صيغا وعبارات والمخاطب فيها رسولنا الأكرم وهي أشد وقعا على النفس وأكثر إيلاما كقول المولى عز وجل(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وقوله جل من قائل: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، وقول الحق سبحانه(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) ، وقوله عز وجل(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) ، ورغم أن القرآن الكريم يوظف ألطف الألفاظ وأرقها في معاتبة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلا أن الآيات السالفة وهي بصيغة المخاطب لا الغائب أشد وقعا وأعظم أثرا من أن يذكر عبوس الرسول الأكرم إن كان فعلا قد كان بصيغة المخاطب، كما أن الإنتقال المفاجئ من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب ليس من البيان في شيء وأعجب من الدارسين أصحاب البلاغة والبيان كيف لهم أن يستهجنوا هذا الإنتقال المفاجئ من صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب من أديب إذا خطه قلمه ويقبلونه ويستحسنونه من ربهم ورب الأديب..

لنلتفت إلى لغة العرب في نقطتين اثنتين:

"عبس وتولى": جاء في لسان العرب لابن منظور الإفريقي، وَلَّى تَوْلِيَةً: أدْبَرَ، كَتَوَلَّى، وتولى عنه: أعْرَضَ، أوْ نَأَى ، فيكون المعنى أن الوليد بن المغيرة قد عبس وتولى أي عبس وأدبر، كان قد أقبل ليسمع من الرسول الكريم ولما كان من ابن أم مكتوم ما كان عبس وأدبر واستغنى، أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد كان مقبلا على

الوليد متلهيا عن ابن أم مكتوم وبقي على تلك الحال إلى أن انصرف الوليد وأدبر.

"أن جاءه الأعمى": تقول العرب: جِئْتُهُ أجِيئُهُ: غَالبَنِي بكَثْرَةِ المجيءِ، فَغَلَبْتُهُ.

من المؤكد أن الوليد بن المغيرة كان كثير التردد على مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الشيخ المجرب وواضح أنه ممن يعتد برأيهم وهو ممن يفاوض عن قريش ويتحرى، أما ابن أم مكتوم فقد كان يتربص بالوليد ولا يفوت جلسة حضرها أو علم بها في حينها للوليد مع الرسول الأكرم إلا وجاءه بهدف التنغيص عليه فيشارك في الحوار الدائر ويكون جليسا له رغم أنفه، فيكون ابن أم مكتوم قد غالب الوليد بن المغيرة في المجيء فغلبه...

أما ما الذي مكنني من تحديد هوية العابس حتى "زعمت" أنه الوليد بن المغيرة فهو ما أجمع عليه جمهور المفسرين والمحدثين عند تناولهم قول المولى جل وعلا في سورة المدثر من الآية 11 إلى الآية 30

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾

أجمع المفسرون على أن المعني في الآيات هو الوليد بن المغيرة، الحق سبحانه ذكر الغائب في سورة المدثر بأنه قد خلقه وحيدا وجعل له مالا ممدودا وبنين شهودا وهو يطمع في الزيادة، وأخبر عنه المولى عز وجل أنه كان لآيات الله عنيدا وأنه فكر وقدر فقتل كيف قدر، ثم أنه نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر، وأنه قال أن القرآن سحر يؤثر وأنه قول البشر.

وفي سورة عبس يخبرنا الحق سبحانه عن الغائب أنه عبس وتولى عندما جاءه الأعمى وأنه قد استغنى وأن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه له تصدى، واضح أن المشترك بين المعني في سورة المدثر والمقصود في سورة عبس هو العبوس " عبس وبسر " و " عبس وتولى" وبذائقة بلاغية سليمة وتنزيه يليق بالعلي القدير يتبين للمتأمل أن من ذكر بصيغة الغائب في سورة المدثر هو نفسه من عبس وتولى في سورة عبس، أما في قول البشر فلا حرج وينتظم عندي وعند غيري أن يذكر الكاتب في كتابه شخصا بصيغة الغائب لضرورة أو لغير ضرورة في موضعين مختلفين ويخبر عنه في الموضع الأول بنفس ما يخبر عنه في الموضع الثاني وليس فقط بخبر واحد مشترك ويكون الشخص في الموضع الأول غير الشخص في الموضع الثاني.. قد يكون ولا من معقب أما في القرآن المبين فلا يكون.. وقطعا العابس في سورة المدثر هو العابس نفسه في سورة عبس ما لم يتناقض خبر في الموضع الأول أي في سورة المدثر مع خبر في الموضع الثاني أي سورة عبس، والواضح أنه ليس هناك تناقض إذ الغائب في سورة المدثر له مال وبنون وطامع عنيد وفكر وقدر وتقصى وتحرى فخاب مسعاه، ونظر ثم عبس وبسر، وبعدها أدبر واستكبر وقال إن القرآن سحر يؤثر وأنه قول البشر فكان ممن صلي سقر، وأما الغائب في سورة عبس فأخبرنا عنه الحق سبحانه أنه عبس وتولى وأنه استغنى وأن الرسول صلوات الله عليه وسلامه له تصدى، ما من تناقض بل هناك تكامل وإثراء، وقد جعل الحق المبين سبحانه للغائب في الموضعين المختلفين وصفا مشتركا وهو العبوس حتى نقرن بين سورة المدثر وسورة عبس ونتبين هوية العابس المقصود في سورة عبس بتبين هوية العابس المقصود في سورة المدثر وهو معلوم.. على الأقل ثابت أنه من أهل الكفر والعصيان...القرآن بعضه يفسر بعضا،

"إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر" هو الوليد بن المغيرة وقد فكر فيما جاء به رسولنا الأكرم صلوات الله وسلامه عليه وقدر كيف يتحقق من الأمر ويتبين حقيقة محمد أنبي مرسل هو أم متقول كذاب بعد أن يسر له الخالق سبحانه سلفا سبل الهداية و بصره بأمور

تحمله على التصديق وتدفعه نحو الإيمان غير أنه كابر وعاند " ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيد، كلا إنه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا."

"ثم نظر" تقول العرب نظره وانتَظَره إذا ارتقبَ حضوره، فيكون المعنى المراد هو أن الوليد بن المغيرة كان يرتقب حضور غريمه ابن أم مكتوم كما جرت العادة، هذا من جهة ابن أم مكتوم أما من الجهة المقابلة أي جهة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فنجد العرب تقول كذلك: نَظَرَ الرجل وانْتَظَرَهُ وتَنَظَّرَهُ، تَأَنَّى عليه، فيكون المعنى المراد هو أن الوليد العنيد حين كان من ابن أم مكتوم ما كان انتظر أن يرده الرسول الأكرم عنه وعن رفاقه وينهره مراعاة للمقامات كما يرى وتأنى عليه وابن أم مكتوم يسأل ويلح.

"ثم عبس وبسر" لما لم يرَ الوليد من رسولنا الأكرم صاحب الخلق العظيم ما كان يأمله عبس وبسر، تقول العرب: بَسَرَ حاجته يبسرها بسرا وبسارا وابْتَسَرَها وتَبَسَّرَها إذا طلبها في غير أوانها أو في غير موضعها، فيكون المعنى هو أن الوليد قد نظر إلى الواقعة على أنها أية كبرى وجلية دالة على " تقول وكذب " الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام ، كيف؟

أجيب: الوليد هو العابس وطبعا هو على يقين من ذلك كما أنه يوقن ويعلم تمام العلم أن الرسول الأكرم لم يعبس البتة ولم يقطب الجبين في وجه صاحبه، لأنه بمحاولتنا تصور ما كان وكيف مرت المدة الوجيزة الممتدة من لحظة تدخل ابن أم مكتوم إلى أن عبس الوليد وتولى رغم تصدي الرسول الأكرم له يمكننا الجزم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأبه بصاحبه " فأنت عنه تلهى" وواصل خطابه للوليد ورفاقه وبديهي أن ينظر المخاطب إلى من يخاطب كما أنه من البديهي أن الوليد بن المغيرة كان ينظر إلى رسولنا الأكرم شأن وحال المستمع أو المتلقي مع من يسمع منه خصوصا مع حرص الوليد أن يظهر للحضور أنه لا يعير حركة ابن أم مكتوم المعتادة أدنى اهتمام ولا يلقي له بالا، هذه واحدة، والثانية هي أن الوليد عندما بلغه لاحقا وبعد نزول السورة عبارة رسولنا الأكرم المرحبة بابن أم مكتوم " أهلا بمن عاتبني فيه ربي" وبعد أن فهم ابن أم مكتوم وصحابة رسول الله – إلا شخصين

على الأقل – من لفظه صلوات الله وسلامه عليه أنه إقرار منه واعتراف بأنه العابس المقصود خيل للعنيد الوليد أنه قد تبين حقيقة محمد وأيقن من أنه متقول كذاب – معاذ الله- بدليل أنه صلوات الله وسلامه عليه قد أقر بما لم يكن واعترف بما لم يقترف، وبالتالي يكون الوليد قد بسر حاجته وحاجته ما هي إلا آية كبرى وعلامة واضحة يتبين بها حقيقة محمد حيث طلب حاجته والتمسها في غير موضعها وفي غير أوانها فأضله ربه بالقرآن كما هدانا بالقرآن (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)

سؤال، إذا لم يكن الأمر كما أسلفت فمن يطلعني من أهل الذكر على السبب الذي جعل الوليد بن المغيرة يهم بالانصراف و يستغني بعد أن كان يسمع ويحاور ؟

ثم لمَ لم يأت الخالق المبين جل وعلا على ذكر سبب انصرافه وهو محور أساسي من محاور القصة حيث يقتضي البيان ويفرض التبيان أن يذكر السبب وربنا رب التبيان والبيان؟ وليخبرني أهل العلم والتفسير عن معنى "بسر" إذا لم يكن الأمر كما أسلفت؟

ثم ما المراد من لفظ " عبس وبسر "، الحق جل وعلا خلقه وحيدا وجعل له مالا ممدودا وبنين شهودا وهو يستزيد وهو عنيد وسيرهقه الحق سبحانه صعودا، ثم إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر، ثم نظر ثم عبس وبسر، أسأل الحكماء عن الباعث على القول " عبس وبسر " بالرؤية السائدة يبدو حشوا – تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا – وليس لنا فيما شاع من تفاسير تصريف يجد صلة بين ما سبق وما لحق قول المولى جل وعلا " عبس وبسر " أما ما أسلفت يبين أن المولى جل جلاله قد دسها لنتبين بها هوية العابس في سورة عبس وورود حرف " ثم " الذي يفيد التراخي يسند قولي..

قد يقول قائل: كيف يكون ما ذكرت وكل الصحابة الكرام والتابعين الأخيار وجميع علماء السلف والخلف وجميع المفسرين والمؤولين والمحدثين قد أجمعوا على أن العابس هو الرسول صلوات الله وسلامه

عليه وهو القائل " لا تجتمع أمتي على ضلالة"، أجيب صاحبنا فأقول أنه قد حفظت لنا خمس مرويات لصحابة رسول الله رضوان الله عليهم عن سبب نزول السورة، ثلاث منها لأمنا عائشة وواحدة لسيدنا أنس وخامسة لسيدنا عبد الله بن عباس، أما ما ذكره بعض التابعين فقد فهموه من أقوال أمنا عائشة وسيدنا أنس، إليكم المرويات الخمس وقد تقدم ذكرها:

- أخرج الترمذي وحسنه وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة قالت: " أنزل سورة عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول أترى بما أقول بأساً فيقول لا، ففي هذا أنزلت".
- وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة فيقول لهم أليس حسناً أن جئت بكذا وكذا؟ فيقولون: بلى والله، فجاء ابن أم مكتوم وهو مشتغل بهم فسأله فأعرض عنه، فأنزل الله (أما من استغنى فأنت له تصدى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى) يعني ابن أم مكتوم."
- وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه في شعب الإيمان عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها رجل مكفوف تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل، فقلت: من هذا يا أم المؤمنين؟ فقالت:" هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه نبيه صلى الله عليه وسلم قالت: أتى نبي الله وعنده عتبة وشيبة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فنزلت (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) ابن أم مكتوم".
- وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى عن أنس قال:" جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبيّ

بـن خلـف، فـأعرض عنـه، فـأنزل الله (عـبس وتـولى أن جـاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه".

- وأخـرج ابـن جريـر وابـن مردويـه عـن ابـن عبـاس قـال " بينـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ينـاجي عتبـة بـن ربيعـة والعبـاس بـن عبـد المطلـب وأبـا جهـل بـن هشـام، وكـان يتصـدى لهـم كثيـراً، ويحـرص أن يؤمنـوا، فأقبـل إليـه رجـل أعمـى يقـال لـه عبـد الله بـن أم مكتـوم يمشـي وهـو ينـاجيهم، فجعـل عبـد الله يسـتقرئ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم آيـة مـن القـرآن. قـال يـا رسـول الله: علمنـي ممـا علمـك الله، فـأعرض عنـه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وعـبس فـي وجهـه، وتـولى، وكـره كلامـه، وأقبـل علـى الآخـرين. فلمـا قضـى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم نجـواه، وأخـذ ينقلـب إلـى أهلـه أمسـك الله بـبعض بصـره ثـم خفـق برأسـه ثـم أنـزل الله (عـبس وتـولى أن جـاءه الأعمـى) فلمـا نـزل فيـه مـا نـزل أكرمـه نبـي الله وكلمه يقول له: ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟."

يتبين من صيغ أمنا عائشة في الأحاديث الثلاث كما في لفظ سيدنا أنس أن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه قد تلهى عن ابن أم مكتوم وأقبل على من كان يحاور من صناديد قريش، ولم تذكر من تربت في بيت النبوة وسمعت ما يتلى في بيتها من الكتاب والحكمة شيئا عن العبوس والعابس وكذلك سيدنا أنس رضي الله عنه لم يذكر لا عابسا ولا عبوسا وإنما اكتفى بما ذكرته أمنا عائشة رضي الله عنها من إعراض الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن صاحبه وتلهيه عنه بمحاورة من كان يحاور ... فلمَ نأخذ عن سيدنا ابن عباس ما أورده في حديث يتيم – هذا إن صح – وندع أربعة أحاديث لأمنا عائشة وسيدنا أنس ؟ ثم إنه إن تكلمنا عن الإجماع يكون ما أثبت هو ما أجمع عليه أنس وعائشة وأقوالهما تشكل أربعة أخماس الموروث، وأما ما هو سائد فذاك رأي شاذ لابن عباس...

ثم لنسأل ساداتنا المحققين عمن أخبر ابن عباس نفعنا الله بعلمه أن الحق سبحانه أمسك ببعض بصر رسولنا الكريم وخفق برأسه وليس إلى علم ذلك من سبيل سوى أن يكون رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد أخبره، ولو حصل لقال ابن عباس حبر الأمة أخبرني

الرسول صلى الله عليه وسلم أن الحق سبحانه قد أمسك ببعض بصره وخفق برأسه...

وبالتالي ما كان لمن دعا له الرسول الكريم ربه المجيب بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل أن يصدر عنه مثل ما نسب إليه، وأسأل أهل الذكر الكرام هل ما أوردته أمتن من حيث البناء البلاغي وأنسب أم ما هو سائد وقد صار من المسلمات بفعل التقادم وغياب البديل؟ ثم ما المطلوب يا ترى، أن نصحح الزلة فنلغي ما ساد طيلة أربعة عشر قرنا و "ننصر نبينا" و "إلا رسول الله" أم يظل رسولنا الأكرم صاحب الخلق العظيم في مخيلات العلماء والعامة والناشئة ومن تدعونهم ممن يدين بغير الإسلام وتبذلون قصارى جهودكم مشكورين مأجورين للتعريف بالنبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه ذاك المعرض عن العميان والعابس في وجه الإخوان المقبل على أهل الطغيان المصرين على العصيان؟ هذا والله تعالى ورسوله أعلم بما كان ... ثم إن بعض ما بلغنا لا ينتظم في عقل عاقل، مثال ذلك:

-أخرج ابن أبي حاتم عن الحكم أنه قال: ما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية متصدياً لغني ولا معرضاً عن فقير.

المعنى الضمني للعبارة هو أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قبل نزول السورة كان ديدنه التصدي للأغنياء فقط لأنهم أغنياء والإعراض عن الفقراء فقط لأنهم فقراء، ثم ليخبرنا الحكم عن فقير واحد أعرض عنه صاحب الخلق العظيم صلوات الله وسلامه عليه.

أما الحرص على إيمان الأغنياء كائن لا محالة كالحرص على إيمان غيرهم من المعدمين... ونحن المسلمون المنزهون لرسول الحق والهدى لا نلقي بالا لمثل هذا القول، لكن من لا يدين بديننا ممن يفتشون ويمحصون وهم يبحثون عن الدين القويم وعن أسمى شرع وأحلم رسول قد تردهم عبارة عن مسعاهم وتنفرهم من الدين المتين الذي أمرنا أن نوغل فيه برفق حتى وإن شدتهم إليه أمور أخر واستحسنوا جوانب شتى...

ثم كيف لمن قال فيه ربه جل وعلا (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)وقوله تعالى(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا

مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) وأمره سبحانه وتعالى (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) كيف لصاحب الخلق العظيم رسولنا الكريم البعيد كل البعد عن الغلظة والفظاظة بصريح القرآن المأمور بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، كيف له صلوات الله وسلامه عليه أن يعبس في وجه صاحب له لم يأت منكرا وجريرته فقط أنه قطع عليه حديثا كان خائضا فيه؟!

فإن كان ما بلغنا صحيحا أين هي الليونة وأين خفض الجناح؟

قد يقول قائل: وهل تنقض حركة واحدة في موقف واحد خلق رسولنا العظيم ولينه ورأفته بصحبه الكرام؟

أجيب وأعود فأقول أنه يلزم النظر في المسألة من زاوية المثال والكمال والتمام، وحركة واحدة أو كلمة واحدة إن صدرت وكانت بها غلظة وقمع نقضت ما ذكره الحق سبحانه وتعالى من عظيم خلق الرسول وما أمره به من خفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين...

-أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخلياً بصنديد من صناديد قريش وهو يدعوه إلى الله وهو يرجو أن يسلم إذ أقبل عبدالله بن أم مكتوم الأعمى، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم كره مجيئه، وقال في نفسه: يقول هذا القرشي إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس فنزل الوحي (عبس وتولى) إلى آخر الآية".

في قول مجاهد ما دس ونسب إلى ابن عباس وقد يكون من كلام الرجل وقد تكون زيادة من أحد الرواة!!

أسأل أهل الذكر والفكر مرة أخرى عمن أخبر مجاهدا أن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه كره مجيء ابن أم مكتوم لمجرد مجيئه لما رآه وهذا أنكر، من أخبره بما جال في خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم، استغرق والله مجاهد أو من زاد في كلامه في الفرية حيث لم يذكر ما اقترفه ابن أم مكتوم وقطعه لحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه وحركته المبغوضة والمنكرة بل جعل فقط سبب الإعراض

والعبوس هو مخافة أن يتحدث الصناديد المجالس للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن أتباع محمد من العميان والسفلة والعبيد، لقد أسأنا وتجاوزنا ومن سمع كلامي ولزم القديم يكون قد افترى، هذا والله تعالى ورسوله أعلم[4].

[4] حقيقة سورة عبس الكاتب عبد الاله خليل مقال بتاريخ 2018/11/14 رابط المقال: https://al3omk.com/352372.html

أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم في القران الكريم

يقول الله عز وجل في محكم آياته:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:4

الخلق العظيم دائم فهو طبع شخصي وفطرة إنسانية وصبغة لدنية هو خلقة وليس بصنعة ولا مكتسب، أصل وصفة مستمرة وقائمة مستقلة بذاتها وليس متعلقة بظروف محيطة بها ومتغيرات تؤثر فيها

فصاحب الخلق العظيم خلقه لا يتغير ولا يتبدل مع فقير او غني مع صغير او كبير ولا في ضعف او قوة ولا في سعادة او حزن فالخلق العظيم مبدأ ثابت لا يتغير، مستحيل ان يصدر عنه عبوس وتولي لرجل ضعيف مسلم أعمى

الخلق العظيم ليس محصور على الدائرة المسلمة بل هو واسع نطاقه للدائرة الإنسانية فهو يتعامل وفق الخلق العظيم مع المسلم والمشرك واليهودي ولا يجعل خلقه العظيم محصور على المسلمين فقط

الخلق العظيم ليس مقصور على الدائرة الإنسانية بل تعداه الى الحيوان من جمل وعصفورة تشتكي خطف صغارها وشمل الدائرة الشيئية فأصبح خلق عظيم كوني يشكوا له جذع النخلة شوقه ويتفاعل معه

صاحب الخلق العظيم لا يحتاج ان يربيه الله ويعلمه في الواقع لأن الله عز وجل هو الذي اصطفاه وخلقه من نوره فكان نورا يمشي

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: 21.

رسول الله صاحب الخلق العظيم هو الاسوة الحسنة وقدوة كل من يريد الله وما عند الله وذكر الله كثيرا

القدوة والأسوة الحسنة النموذج النوراني تجلي القران الكريم يستحيل ان يعبس في وجه مسلم اعمى ويتولى عنه ليس لأنه يرى نفسه قدوة واسوة حسنى بل لأنه الكمال البشري لأنه عبد الله ورسوله حقق كمال العبودية وتمامها وبلغ كلية الرسالة فهو رجاء الرجاء لنا فان كنا نرجو الله ونرجو اليوم الاخر فالرجاء الذي هو شعور يتحول الى خط سير نحو اتجاه تحقيق الشعور عن طريق وقود الذكر ، ذكر الله كثيرا فالأسوة الحسنة رجاء وذكر كثير والرجاء هو الحب فمن أراد القدوة والاسوة الحسنة فهي تتجلى وتتجسد في شخص رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في حبه لله وحبه للقاء الله وذكره الله كثيرا فحب الله بالمشاعر وبالذكر وسيدنا رسول الله هو اكبر واكثر شخص يحب الله ويذكر الله لذلك امرنا الله ان نتخذه اسوة حسنة نتأسى به في حب الله وذكر الله كثيرا

ومن كان أكثر حبا لله وأكثر ذكرا لله مستحيل ان يعبس في وجه مسلم اعمى جاء ليتعلم ويتولى عنه

الأسوة الحسنة معنى ذلك ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم هو نبع الحسنات ومصدر الحسنة ومصنع الحسنة مستحيل ان تصدر عنه سيئة تسيء لرجل اعمى بقصد او دون قصد فالرسول صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة في جبر الخواطر ومن كان اسوة حسنة في جبر الخواطر مستحيل يكسر خاطر مسلم اعمى ضعيف فقير

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة:2

المربي الذي يربي اتباعه ويرقيهم في مدارج السلوك بالتزكية يجب ان يكون اكملهم تربية وأزكاهم سلوكا فان كان الخطأ يصدر من التابع ومن المتعلم فهو يعتبر هفوة او خطأ بسيط لكن ان يصدر نفس الخطأ من المربي والمزكي فهو امر جلل وعظيم وبالتالي فالمربي الحق والمزكي المصطفى من العليم الخبير مستحيل ان يصدر عنه عبوس وتولي عن مسلم اعمى متعلم لأن الذي بعثه لهذه المهمة هو الله عز وجل العليم الحكيم ليعلمهم الحكمة وليس من الحكمة ان يعبس في وجه متعلم اعمى ويتولى عنه فالمعلم المزكي المربي الحكيم لا يعبس في وجه مريديه ولا يتولى عنهم.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران:159 .

غلظة القلب معنى ذلك ان القلب خال من الرحمة وغلظة القلب تنعكس وتتجلى في بعض الحركات والاشارات والايماءات منها العبوس في الوجه والاعراض والتولي عن الضعيف الذي لا فائدة او مصلحة فيه والرسول صلى الله عليه واله وسلم ليس بفظ حتى يقوم بحركات فظة من عبوس واعراض عن اعمى وليس بغليظ القلب بل هو رحمة الله ورحمة من الله وهو اللين المتواضع

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾التوبة:128

كيف لحريص بمريديه رؤوف بهم رحيم عليهم ان يعبس في وجه مريده الاعمى وان يعرض عنه ويتولى؟

صفة العبوس والتولي تنزع عنه صفة الحرص والرأفة والرحمة فان وصفه الله عز وجل وقوله حق وصدق بانه حريص على المؤمنين رؤوف بهم رحيم عليهم معنى ذلك ان صفة العبوس والتولي التي تتنافيان مع صفة الحرص والرأفة والرحمة لم تصدر من الرسول صلى الله عليه واله وسلم بل من جليسه الكافر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ الأحزاب:53

لهذه الدرجة وصل حياء النبي صلى الله عليه واله وسلم حتى يتدخل الله عز وجل في كتاب تتلى آياته الى يوم الدين ليربي الصحابة وينهاهم عن الدخول والمكوث في بيوت الرسول صلى الله عليه واله وسلم دون مراعاة مواقيت الزيارة وآداب الضيافة

لو كان الواحد منا وجاءه ضيف دون دعوة وبعد الطعام جلس مستأنس للأحاديث فان أي واحد منا سيعبس في وجهه عبوسا ظاهرا واضحا ويتولى عنه ويعرض عنه ويبين له ان زيارته غير مرغوبة وانه غير مرحب به أكثر من هذا الوقت

ومع هذا سيدنا الرسول صلى الله عليه واله وسلم لم يصارح الضيوف الثقيلة ولم يلمح لهم حتى انه يتأذى نفسيا وجسديا منهم ويصبر فالرجل يجب ان يرتاح في بيته بوضعية معينة ولباس معين وهذا لا يتم مع ضيوف يأتون من غير دعوة ويبقون في البيت كأن البيت بيتهم

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعبس في وجوههم رغم انهم يبصرون ولم يتولى عنهم كإشارة لرفض سلوكهم لأنه يستحي لأنه كان صاحب

خلق عظيم لأنه كان بالمؤمنين رؤوف رحيم فكيف يعبس في وجه اعمى جاءه يتعلم ويعرض عنه وهو جالس خارج البيت مع كفار يدعوهم؟

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء:3.

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ فاطر:8.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾النمل:70.

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ النحل:127.

انه لا يحزن بما يفعلوه في محاربته ومحاربة دعوته انه يحزن عليهم لأنهم وقفوا ضده وقفوا ضد الحق وكانوا في معسكر الخسارة في الدنيا والاخرة رغم ان مهمته التبليغ فقط وتوصيل الرسالة وليس في الزامهم على اتباعها لكنه حزين لأنه يريد الجميع ان يكونوا من اهل الجنة لا يريدهم من اهل النار

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾الأنبياء:107.

سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم هو تجلي الرحمة الإلهية ليس للمسلمين فقط ولا للبشرية فقط بل للعالمين عالم الانس وعالم الجن عالم اهل الارضين وعالم اهل السموات السبع عالم الدنيا وعالم الاخرة فهو سيدنا صلى الله عليه واله وسلم رحمة للعوالم كلها ورسالته رحمة والذي تجلت الرحمة في شخصه وتجسدت الرحمة في رسالته مستحيل

ان يتولى ويعرض على رجل اعمى مسلم جاء طالب علم ويعبس في وجهه لأن الرحمة لا تعبس في الوجوه ولا تتولى عن قاصديها

الخاتمة

بالنسبة لي الرسول صلى الله عليه واله وسلم معصوم ليس في التنزيل فقط بل في كل احواله وافعاله وصفاته فهو الذي يجسد الكمال البشري ولقد زكاه الله عز وجل وجعل، طاعته من طاعة الله وحبه من حب الله

لنفرض ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم عبس في وجه رجل مسلم اعمى واعرض عنه وهذا الرجل الأعمى لا يرى عبوس وجه رسول الله ولا يرى انه قد أعطاه بظهره لكنه يسمع مناجاة الرسول للكافر في المجلس ويفهم من عدم رد الرسول صلى الله عليه واله وسلم انه يتجاهله

هذا الفعل والذي هو التجاهل لشخص قصدك شخصيا لأجل أن يسألك وتعرض عنه هل لأنه جاء في وقت غير مناسب وانت في اجتماع رسمي مهم؟

لنفرض ذلك، الرد سيكون ان تقول له كلمة او جملة فقط وينتهي الموضوع اعتذر انا في اجتماع مهم لنؤجل مسألتك لاحقا

أمـا ان تعـبس فـي وجهـه وتعـرض عنـه معنـى ذلـك ان هـذا الشـخص لـيس أول مـرة يقـوم بهـذا الفعـل بـل هـو دائـم التكـرار لـه لـذلك رغـم أنـك سـبق أوضـحت لـه وشـرحت الامـر وطلبـت منـه انـه حـين يـراك فـي اجتماعـات مهمـة او رسـمية فـي هـذا المكـان الا يـأتي ويقاطعـك ورغـم هـذا هـو مـازال يكرر فعلته ويأتي اليك

هـل معنـى ذلـك انـه أراد ان يحرجـك او أراد ان يحـرج الأشـخاص المهمـين الذين تجتمع معهم؟

لقـد حـدثت هـذه القصـة فـي مستشـفى ، المـدير تربطـه علاقـة صـداقة مـع ممـرض قـديم الممـرض يشـغل وظيفـة مراقـب مصـلحة استشـفائية حـين يقـوم المـدير باجتماعـات مـع المـراقبين الطبيـين للمصـالح يحضـر وحـين يقـوم المـدير باجتماعـات أخـرى مـع مصـلحة الطـب الوقـائي واجتمـاع اللجـان التقنيـة رغـم انـه لـيس عضـو فيهـا ولـم يـتم توجيـه لـه دعـوة رسـمية لحضـور الاجتماع الا ان سكرتيرة المدير تتفاجأ به يحضر ويريد الدخول للاجتماع

تتصـل السـكرتيرة بالهـاتف لتخبـر المـدير ويطلـب منهـا المـدير السـماح لـه بالـدخول جبـرا بخـاطره فـالممرض يـرى فـي نفسـه انـه مـن المؤسسـين الأوائـل للمستشـفى وان لديـه خبـرة وان لـه فضـل علـى المـدير الجديـد فهـو الـذي رافقـه وشـرح لـه كـل شـيء عـن المستشـفى فـي بدايـة مشـواره المهنـي فيها

فـي اجتمـاع المـدير مـع الأطبـاء المختصـين رؤسـاء المصـالح الاستشـفائية

دخـل الممـرض الاجتمـاع هنـا أحـد الأطبـاء المختصـين عـبس فـي وجـه الممـرض وغيـر مـن وضـعية جلوسـه حيـث أصـبح الكرسـي فـي وضـع جـانبي كأنه اعرض عنه

الطبيـب المخـتص أخبـر المـدير ان هـذا الاجتمـاع مخصـص للأطبـاء المختصـين رؤسـاء المصـالح لأجـل مناقشـة قضـايا تخـص صـفتهم ولـيس اشخاصـهم وبالتـالي الممـرض لا فائـدة ترجـى مـن حضـوره ولا توجـد إضـافة يقـدمها فـي نفـس الوقـت هنـاك فـارق واخـتلاف فـي المسـؤوليات والمستويات ويعتبر حضوره إهانة لسلك الأطباء المختصين

مـع العلـم انهـم هنـا بصـفتهم رؤسـاء مصـالح استشـفائية وقـد رفضـوا جلـب معهـم بعـض الأطبـاء المختصـين لأنهـم ليسـوا مسـؤولين عـن المصـالح فمـا بالك بممرض

بالنسـبة للمـدير مـن صـلاحيته ان يـأمر الممـرض بمغـادرة الاجتمـاع وان الاجتمـاع لا يعنيـه وحتـى ولـو تـذرع الممـرض بأنـه جـاء لأجـل الاسـتفهام بخصـوص مـذكرة معينـة أصـدرها المـدير سـيجيبه المـدير بعـد الاجتمـاع سـنتناقش امرهـا وبالتـالي المـدير هنـا لا يعـبس ويعـرض عـن الممـرض بـل اما ان يأمره امرا مباشرا بالخروج ومغادرة الاجتماع فورا

او يلتـزم الصـمت الإيجـابي وهـو رسـالة للطبيـب المخـتص رئـيس المصـلحة انـه راض ومقـر علـى فعـل الممـرض ولـن يطـرده مـن الاجتمـاع خصوصـا ان

المدير يعلم ان هناك حسابات قديمة بين الممرض وطبيب مختص رئيس المصلحة

هنا الطبيب المختص حتى لا يغادر اجتماع رسمي دون وجه حق ويصبح يحاسب سواء إداريا او معنويا واخلاقيا فانه يبقى في الاجتماع لكنه طوال الاجتماع سيعبس في وجه الممرض ويعرض عنه

لنعد لسورة عبس، الرجل الأعمى لم ير عبوس الرسول صلى الله عليه واله وسلم ولم ير اعراضه عنه، الشيء الوحيد الذي لمسه هو ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم تجاهله ولم يرد عليه

كما نفعل نحن مع أولادنا حين يطلبوا منا امر غير مهم ونحن في وسط محادثة مهمة، نحن لا نقطع المحادثة في نفس الوقت نتجاهلهم ليس كرها فيهم بل نوع من التأديب لهم لأن الوقت غير مناسب لهذا الطلب خاصة لو كنا قد نبهناهم من قبل بالقول وطلبنا منهم حين نكون في نقاش مع شخص كبير لا تقاطعونا

ولكن الله أخبره وأخبرنا بتفصيلات لم يشاهدها الرجل الاعمى من عبوس وتولي هل معنى ذلك ان الله كشف وفضح خطأ رسوله ليصبح حدث في سورة تتلى الى يوم القيامة ويتعبد بتلاوتها؟

هل معنى ذلك ان الله عز وجل جبر بخاطر الرجل الأعمى أم العكس؟ فالأعمى لم يرى عبوس الرسول وتوليه عنه في حين يخبره القران وجميع الصحابة يتلون هذه السورة الا ينكسر خاطر الرجل الاعمى؟

معنى ذلك ان الرجل الاعمى حين سكت الرسول عنه وبقي يتحدث مع المشرك قد يلتمس الرجل الاعمى للرسول عذر انه لم يسمعه جيدا ان الكافر يتناقش بصوت اعلى ان النقاش كان مصيري ...

لكن حين يعلمه القران بان الرسول عبس في وهجه ثم تولى عنه ثم انشغل بعدها في مناقشة مركزة مع الكافر يعني ذلك ان القران الكريم زاد كسرا لخاطر الرجل الاعمى

لكن ان سلمنا بان العابس والمتولي هو الكافر في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم فالقران هنا ينقل لنا حدث وهو بذلك لا يكسر خاطر الرجل الأعمى بل هو يدافع عنه امام شخص كافر وقد رفع الاحراج عن النبي صلى الله عليه واله وسلم في الدفاع عنه امام الكافر

في الأخير الله عز وجل يصلي على سيدنا الرسول والملائكة الكرام تصلي عليه وقد أمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه وفعل صلاة الله عز وجل والملائكة جاء بفعل المضارع الذي يفيد الديمومة والاستمرار وامرنا بالصلاة عليه دون حد ولا وقت والصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم هي العبادة الوحيدة التي خصها الله عز وجل لنفسه ولملائكته ابتداء ثم أمرنا بها تعبدا

والذي يصلي الله عليه عز وجل وادم عليه السلام بين الماء والطين مستحيل ان يعبس ويتولى في وجه رجل فقير مسلم اعمى.